الفصل الثالث

موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية

أولا : موقف مصر من الثورة التي قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

لم تكد تمضى سنوات قليلة على فتح مصر حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه على أثر تضافر عوامل مختلفة أدت إلى وقوع هذه الفتنة.

تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة (٢٣ - ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) بعد موت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسار عثمان رضي الله عنه على نهج سلفه في أعمال الفتوحات الإسلامية ، ولم تكن تمضى سنوات قليلة على خلافته حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتله على أثر تضافر عوامل مختلفة أدت إلى وقوع هذه الفتنة كان من أهمها :-

وجدت حالة من التذمر في الدولة الإسلامية مجالا فسيحا في خلافة عثمان وذلك بعد أن بدأت تتوقف الفتوحات الكبرى ، بجانب لين الخليفة وتسامحه ، وبدأت حركة التذمر تسرى في الولايات الإسلامية المختلفة ضد الخليفة ، ولم تمض ست سنوات على حكمه حتى ترأس هذه الحركة رجل يهودي من أهل صنعاء أسلم زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو عبد الله بن سبأ ، وكان يعرف بابن السوداء ، ويبدو أن ابن سبأ كان من الذين أسلموا ليضلوا الناس عن الإسلام ويكيدوا لهذا الدين.

بدأ ابن السوداء دعوته بالحجاز ، ثم البصرة والكوفة والشام ، ولكنه لم ينجح في الحجاز أو الشام ، كما أنه طرد من البصرة والكوفة ، فجاء إلى مصر ووجد بها مجالا لنشر تعاليمه ودعايته ، وإعلان الثورة ضد الخليفة[١].

وخرج ابن السوداء للناس بنغمة جديدة غير التي جاءهم بها في الشام ، فألف حزبا بها واتخذه شيعة له ، وكان مما يخاطب به أهل مصر الآتي:

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٧٢.

١. قال العجيب: من يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا لا يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، وقبلها بعض الناس من ضعاف الإيمان.

٢. روج بين شيعته نظرية الحق الإلهي التي أخذها عن الفرس ، واستند إلى أن عليا ﷺ هو الخليفة بعد الرسول ﷺ وأنه يستمد الحكم من الله.

٣. قال إن لكل نبي وصيا ، وعلي ﷺ وصى محمد ﷺ، ونادى بأحقية على ﷺ بالخلافة بعد الرسول ﷺ، وأن عثمان ﷺ قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول ﷺ .

ولابد أن ابن سبأ كان شخصية قوية جذابة جعلته يؤثر على العامة ، بل استطاع أن يجذب إليه كبار الصحابة مثل عمار بن ياسر ، الذي كان عثمان ﷺ قد أوفده إلى مصر ليقف على حقيقة الثورة بها ، فبقى عمار بمصر ولم يعد للمدينة[١] ، وقد ساعد ابن السوداء في رواج أفكاره عدة أمور منها:

١. تبرم أهل مصر على عثمان ﷺ وعامله عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وانضمام كل من محمد بن أبى حذيفة ، ومحمد بن أبى بكر الصديق إليه ، فنجحت سياسته.

٢. أن المصريين كانوا أنصارا لعلى بن أبى طالب ﷺ .

٣. انشغال عبد الله بن سعد بن أبى سرح في حروبه الخارجية في إفريقية والنوبة وضد الروم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/٦٥٤م[٢].

وعندما رجع والى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح من حروبه رجع إلى الخليفة ، لأن الخليفة قد دعا الولاة جميعا أن يحضروا مؤتمرا بالمدينة ، وترك ابن أبى سرح نائبا عنه في مصر هو عقبة بن عامر الجهنى ، وفى ظل هذه الظروف اندلعت الثورة في مصر ، واغتصب حكم مصر محمد بن أبى حذيفة ، وأعلن الثورة والعصيان على الخليفة

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٧٣.
(٢) الكندى: ولاة مصر ص٣٧،٣٦ ، سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٧٣.

عثمان رضي الله عنه ، وطرد عقبة بن عامر الجهنى نائب الوالي في مصر ، ولم يستطع عبد الله بن سعد دخول مصر(١).

وخرجت جماعة من المنحرفين على عثمان رضي الله عنه من مصر والبصرة والكوفة إلى المدينة ، كما توالى الثوار بظاهر المدينة ، وراودوا عثمان رضي الله عنه على أن يصلح من أمره أو يعتزل ، وكانوا قد وجهوا إليه اللوم في عدة أمور منها الآتي:

١. كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه شديد الحب لقرابته ، فاستغل ذلك البعض وتمكنت العصبية القبلية من السيطرة على المواقع السياسية والمناصب الكبيرة كالآتي:
   - أصبحت الشام خالصة لمعاوية بن أبى سفيان.
   - فى مصر ولى عثمان رضي الله عنه أخاه في الرضاع عبد الله بن سعد بن أبى سرح.
   - فى الكوفة جعل أحد أفراد أسرته وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان له ماض بغيض فنفر منه أهلها.
   - فى البصرة ولى عليها ابن خاله عبد الله بن عامر ، وكان حسن السيرة فهدأت أحوال البصرة.
   - فى المدينة كان الخليفة قد أسند أموره إلى وزير من أهله هو ابن عمه مروان بن الحكم.
٢. اتباع عثمان رضي الله عنه في حياته الخاصة منهجا مغايرا لسلفيه واستمر على حياة اللين ، والتمتع بالطيبات.
٣. اتجه إلى التوسعة على أقاربه ، وأغدق عليهم الأموال ، فاتهمه البعض بأنه ينفلهم من بيت المال.

(١) القلقشندى: صبح ، جـ١٤ ص٣٨٦.

٤. اتخذ عثمان المراعى ﷺ فثار عليه المعارضون مدعين أنه اتخذها لنفسه وأقربائه ، فأوضح لهم أنه اتخذها لأبل المسلمين التابعة لبيت المال.

٥. أمر بتوحيد القراءات ، فحصل الناس على مصحف واحد وأحرق ما دون ذلك من مصاحف ، فعارضه البعض بأن الرسول ﷺ أجاز عدة قراءات للقرآن.

٦. نفيه لأبى ذر الغفارى إلى الربذة ، وإن لم يفعل عثمان ﷺ ذلك ، فقد كان أبو ذر زاهدا ، وكان يجمع عمال عثمان ويقرأ عليهم :

﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[١].

واستند عثمان ﷺ على قول ابن عمر: "أن ما أديت زكاته ليس بكنز" ، وكان أبو ذر يحملهم على الزهد والتقشف ، وكان لا يتحمل ذلك إلا بعض الناس ، فكتب عثمان إلى أبى ذر أن يأتي المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان ﷺ : " أريد الربذة " ، فقال: "أفعل" ، فاعتزل ، ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته .

٧. امتناعه عن قتل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتل الهرمزان وحفيده بسبب اتهامهما بقتل أبيه عمر ﷺ، فطالب المسلمون بالقصاص منه ، فقال عثمان ﷺ: "يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم" ، فدفع دية المقتولين من ماله، فغضب بعض المسلمين ، ورأوا أن في ذلك تعطيلا لحد من حدود الله.[٢]

وهناك العديد من الأمور التي وجه فيها المعارضون اللوم على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، الذي أخذ يرضى معارضيه بعزل عماله على الكوفة ومصر والبصرة أكثر من مرة[٣] ، وبدلا من أن يظهر الخليفة قوة وحزما أمام عرب الأمصار ضعف ولجأ إلى

(١) سورة التوبة : من الآية ٣٤.
(٢) أبو بكر بن العربى: العواصم من القواصم ، ص ١١٨.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص٤٩.

مفاوضتهم ووعدهم بإصلاح الأخطاء ، واعترف بأنه زل[١] ، مما جعل أغلبهم يعود إلى الأمصار ، ولكن بعد رحيلهم عن المدينة افتعل مروان بن الحكم كتابا على لسان الخليفة وختمه بخاتمه ، وبعث به إلى عامل مصر يأمره بحبس رجال ممن خرجوا من مصر وجلد المتمردين[٢].

ووقع هذا الكتاب في يد عرب مصر ، فأسرعوا بالعودة إلى المدينة ليواجهوا الخليفة بالكتاب ، ولكنه لم يكن على علم به ، فأنكر ذلك مما أوخذ صدورهم وجعلهم يحاصرون بيته ويمنعوه من حرية الرواح والغدو والصلاة بالناس[٣] ، ولما عرفوا أن الخط لمروان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار، فغضبوا وحاصروه ومنعوا عنه الماء ، حتى أرسل إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه بثلاث قرب من المياه.

وبلغ عليا ﷺ أن عثمان ﷺ يراد قتله ، فقال للحسن والحسين "اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ، فلا تدعا أحدا يصل إليه" ، وبعث عدد من الصحابة أبناءهم للدفاع عن الخليفة عثمان ﷺ [٤] ، وطلب الثوار من الخليفة أن يعتزل ولكنه رفض وقال: "لا أخلع قميصا ألبسنيه الله"[٥].

وكان محمد بن أبى حذيفة قد أرسل حوالي ستمائة رجل مسلح إلى المدينة كان من بينهم محمد بن أبى بكر الصديق ، ولما علم الثوار بأن الخليفة كتب إلى معاوية وعماله فى الأمصار يستنجدهم اقتحموا بيت الخليفة وقتلوه ، وأثناء قتله كان جالسا في محرابه يقرأ القرآن ، فسال دمه على المصحف في حجره[٦] ، فقامت زوجته نائلة لتتلقى عنه الضرب بيدها ، فأصاب السيف يدها فقطع إصبعين من أصابعها ، وأرسلت إلى معاوية بقميصه المخضب بالدم وأصابعها لتحريضه على الأخذ بثأر الخليفة المقتول ، فكان معاوية

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ص٨٢.
(٢) ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ص٨٥ ، أبو زيد شلبى: الخلفاء الراشدون ، ص١٨٩.
(٣) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص١٧٦.
(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٤٣.
(٥) ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ، ص٨٥.
(٦) ابن طباطبا: الفخرى ، ص٩٨.

يعلقهما على منبر الشام ليرق الناس بذلك ودفن الخليفة عثمان رحمه الله قريبا من البقيع ، وكان ذلك سنة ٣٥هـ/٦٥٥م.[١]

وهكذا كان للمعارضين في مصر دور بارز ومؤثر في الفتنة التي وجدت في عهد الخليفة عثمان ﷺ ، حيث تمكن عبد الله بن سبأ من نشر أفكاره بين بعض الأهالي من مصر ولاقت دعوته قبولا ، حتى خرجوا واشتركوا مع الوفود المعارضة من الأمصار الإسلامية ، وانتهى الأمر بمقتل الخليفة عثمان ﷺ ، ويذكر أن الذي قتله رجل من مصر يقال له حمار[٢].

دور مصر في النزاع بين علي ومعاوية بن أبى سفيان :

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بويع على بن أبى طالب ﷺ بالخلافة سنة ٣٥هـ/٦٥٥م ، ولم يكن علي ﷺ يرغب في الخلافة ، فقد قدم عليه أصحاب الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يقبلها ، ولكنه كان زاهدا فيها ، ويدل على ذلك قوله: "لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به"[٣] ، ولكن ألحوا عليه حتى قبلها.

بويع على بن أبى طالب ﷺ بالخلافة بإجماع المسلمين ، إلا فئة قليلة كانت ترى ضرورة المطالبة بدم عثمان ﷺ ثم الاتفاق على الخليفة ، وترأس هذا الفريق معاوية بن أبى سفيان والي الشام وابن عم الخليفة عثمان بن عفان ﷺ [٤] ، وعلى الرغم من أن عليا لم يشترك في المؤامرة التي أدت إلى مصرع الخليفة عثمان ﷺ إلا أنه كان مدينا إلى حد كبير في تسليمه زمام الخلافة إلى الثوار الذين هاجموا عثمان ﷺ في المدينة[٥].

(١) ابن طباطبا: الفخرى ، ص٩٨، ٩٩ ، سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٧٥.
(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٤٤.
(٣) ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ، ص١٩١،١٩٠.
(٤) عبد المنعم ماجد: تاريخ الدولة العربية ، ص٣٦٥.
(٥) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٧٦.

obeikandi.com

وبجانب ذلك أضاف علي ﷺ إلى أعدائه أعداء جدد بسبب عزله ولاة عثمان ﷺ من الولايات ، وأرسل ولاة جدد إلى الأقاليم ، وبايع جميع أهالي الأمصار وولاتها ، ما عدا الشام وعلى رأسها معاوية بن أبى سفيان.

وترجع الخصومة بين على ومعاوية لأسباب منها:

- أن معاوية كان يتهم عليا ﷺ بشيء من دم عثمان ﷺ ، ويرى نفسه ولى دم عثمان.
- أن عليا آوى قتلة عثمان ﷺ في جيشه بدلا من أن يقيم عليهم الحد.
- أن عليا تسرع في عزله عن الشام ، وهذا أمر شديد على معاوية الذي اعتاد الحكم والرياسة زمنا طويلا [1] ، هذا بجانب أن عليا بدأ بأمرين ترجع إليهما الحروب التي وقعت فى عهده وهما:

١. أنه لم ينتظر حتى يبايعه أهل الأمصار ظنا منه أن مبايعة أهل المدينة والثوار كافية في جعل أهل الأمصار يعترفون بخلافته.
٢. قام باسترداد الإقطاعات التي كان عثمان ﷺ قد منحها لبعض أقاربه ، إلى بيت المال ، مما زاد حنق أولئك الذين كانوا قد استفادوا في عهد عثمان ﷺ عليه.

لم ينته الأمر عند معارضة البعض لخلافته بل امتد إلى القتال بينه وبين خصومه في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ/٦٥٦م التي انتهت بانتصاره على معارضيه إلا أن المشاكل لم تنته بذلك حيث امتدت المعارضة وبلغت ذروتها حينما رفض معاوية أمير الشام بقوة وبإصرار الرضوخ لأمر الخليفة بعزله عن ولاية الشام ، بجانب إصراره على المطالبة بمحاكمة قتلة عثمان ﷺ [2].

(١) أبو زيد شلبى: الخلفاء الراشدون ، ص١٩٧.
(٢)ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ص٢٠٣ ، عبد العزيز الدورى: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بيروت ١٩٦٠ ، ص٦٠.

ولذا كان لا مفر من اشتباك الفريقين ليحقق كل منهما مطالبه ، وبالفعل تقاتل الفريقان في موقعة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م[١].

وكاد النصر أن يتم لعلي ﷺ لولا مطالبة أتباع معاوية بتحكيم كتاب الله ، حيث رفعوا المصاحف على أسنة الرماح ، وكان الذي أشار بذلك عمرو بن العاص الذي تمكن معاوية أن يستميله إليه ، وكان عمرو قد اشترط على معاوية أن تكون له ولاية مصر نظير مساعدته له ضد علي ﷺ ، فقبل معاوية[٢].

وكان عمرو على علم بطبيعة تكوين جيش علي ونفسيته وحاله ، حيث كان يتكون من الحفاظ وبقية السلف الصالح من المؤمنين ، فكان معه من أهل بدر سبعون رجلا ، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل ، وكل هؤلاء كانوا يتقبلون مبدأ التحكيم[٣].

وقد اتفق الطرفان على اختيار حكم لكل فريق كما اشترطا على القائدين المتنازعين أن يقبلا نتيجة التحكيم ، ووقع اختيار أهل الشام أتباع معاوية على عمرو بن العاص ، ووقع اختيار أهل العراق على أبو موسى الأشعري ، واجتمع الحكمان بين العراق والشام في دومة الجندل سنة ٣٨هـ/٦٥٨م[٤] ، واتفق الحكمان على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى للمسلمين يختاروا ما يشاءون ، فتقدم أبا موسى الأشعرى وخلع عليا ، ثم صعد عمرو وثبت معاوية ، ورضيت جماعة معاوية بقرار التحكيم ، ورفضته جماعة علي ﷺ الذي أصبح في نظر أهل الشام والخوارج خليفة غير شرعي ، فاكتسب معاوية بهذا القرار قوة إلى قوته ، وازداد علي ﷺ ضعف على ضعفه باستفحال أمر الخلاف داخل

(١)اليعقوبى: تاريخ ، جـ٢ ، ص١٨٨ ، المسعودى: التنبيه والإشراف ، ص٢٥٦ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٥٥.
(٢) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص١٨٨.
(٣) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص١٨٨.
(٤) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص١٩٠.
(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ، جـ٤ ، ص٧٨ ، البلاذرى: فتوح البلدان ، ص٥ ، ابن الأثير: الكامل ، جـ٣ ص١٦٧

بدأ أهل الشام حركة مبايعة معاوية بالخلافة ، ولكن معاوية لم يتعجل ذلك حتى لا يظهر أمام العامة وأمام المخدوعين من أتباع علي ﷺ بمظهر من كان يسعى إلى الخلافة ، فنذر رفض طاعة الخليفة علي ﷺ .

عاد الحال على ما كان عليه قبل صفين وضعف مركز علي ﷺ ، وحقق معاوية مكاسب عديدة حيث أنه كان أميرا على إحدى ولايات الدولة الإسلامية ، وعمل معاوية على إضعاف مركز علي ﷺ بضم مصر إليه ، وإثارة الاضطرابات ضد علي ﷺ في كل أرجاء الخلافة .

أعلن محمد بن حذيفة ولاءه لعلى بن أبى طالب ﷺ وبدأ يحارب معارضي الخليفة حيث أعلنت القبائل العربية في مصر التابعة لعثمان بن عفان ﷺ الأخذ بالثأر من قتلته وكان زعيمها معاوية بن حديج ، ودارت معركتان بين محمد بن حذيفة ، وشيعة عثمان ﷺ في الإسكندرية وخربتا انهزم فيها محمد بن حذيفة(١).

وقد شجع انتصار شيعة عثمان ﷺ على والى مصر محمد بن حذيفة . معاوية على ضم مصر لجانبه ، فأرسل عمرو بن العاص ، فقاد عمرو جيشا سنة ٣٦هـ/٦٥٦م ، ودخل مصر ووصل بالقرب من الفسطاط في منطقة عين شمس فتصدى له محمد بن حذيفة ، ودارت المفاوضات بينهما وانتهى الأمر بحصول عمرو على رهائن من محمد بن حذيفة ، وكان ابن حذيفة ضمن هذه الرهائن وقتل مع الرهائن فى ذي الحجة سنة ٣٦هـ/٦٥٦م(٢)

بعد مقتل محمد بن أبى حذيفة أرسل الخليفة علي ﷺ قيس بن سعد بن عبادة واليا على مصر سنة ٣٧هـ/٦٥٧م ، إلا أن معاوية أخذ يدس له الدسائس حيث تمكن قيس من كسب ود معارضي الخليفة علي ﷺ وأكرمهم وأحسن إليهم ، وترتب على ذلك تحول موقف المعارضين بالانصياع لأوامر قيس ، فأحس معاوية بالخطر فبدأ يكيد لقيس عند الخليفة علي ﷺ .

(١) الكندي: ولاة مصر ، ص٤٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ١ ص٩٤-٩٨.
(٢) الكندي: ولاة مصر ، ص٤٣.

ويذكر الكندي حديث معاوية عن كيده قيسا والقضاء عليه ، فقال : أن معاوية قال لأهل الشام: "لا تسبوا قيسا ، ولا تدعوا إلى غزوه ـ أي محاربته ـ فإن قيسا لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته ، ألا ترون ماذا يفعل بأخوانكم بخربتا ؟! يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم"(١) ، فسمع بذلك عيون علي ﷺ بالعراق والشام ، فاتهم علي قيسا ، وبعث يأمره بقتال شيعة عثمان بخربتا ، فرفض قيس ، فعزله علي وهكذا تخلص معاوية من قيس بالدهاء والمكايدة(٢).

بعد عزل قيس أرسل علي ﷺ الأشتر النخعى واليا على مصر فسار إليها حتى نزل القلزم ، وهناك لم ينج من كيد معاوية حيث دس له سما أثناء نزوله منزل أحد رجال مدينة القلزم ، فمات مسموما ودفن بها(٣).

وفى رمضان سنة ٣٧هـ/٦٥٧م أرسل علي ﷺ محمد بن أبى بكر واليا على مصر ، فبدأ محمد ولايته بمعاداة شيعة عثمان ﷺ ، إذ اضطهدهم وخرب ديارهم ثم سمح لهم بالنزوح من مصر واللحاق بمعاوية في بلاد الشام ، مما أشعل نار الحرب بينه وبينهم ، وكان على رأسهم معاوية بن حديج ، وسانده في تلك الفترة عمرو بن العاص من قبل معاوية، والتقى الطرفان في منطقة المسناه بالقرب من الفسطاط(٤) في شهر صفر سنة ٣٨هـ/٦٥٨م ، وانتهت المعركة بهزيمة محمد بن أبى بكر ومقتله(٥) .

وبمقتل محمد بن أبي بكر تمكن معاوية من القضاء على أتباع الخليفة علي ﷺ بمصر ، ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر ولاية تابعة لمعاوية ، إذ ولى عليها عمرو بن العاص مكافأة له على وقوفه بجانبه في صراعه ضد الخليفة على ﷺ(٦).

---

(١) الكندي : ولاة مصر ، ص١٩

(٢) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ، ص١٩٤ ، الكندي: ولاة مصر ، ص١٦.

(٣) الكندي: ولاة مصر ، ص١٤٧، ١٤٨ ، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ، جـ٢ ص٣٢٢.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة ، جـ٢ ص٣٢٢.

(٥) الكندى: الولاة ، ص٥٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٢ ص١٠٩.

(٦) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٢٢ ، سالم: تاريخ الدولة العربية ، جـ٢ ص٣٢٢.

وهكذا كان لمصر دور بارز في الصراع الذي نشب بين الخليفة على بن أبى طالب ﷺ والأمير معاوية بن أبى سفيان ، إذ تجلى ذلك في موقف شيعة عثمان ﷺ المعارضين لسياسة ولاة علي ﷺ سوى قيس بن سعد بن عبادة ، الذي نجح في كسب ودهم ، ولكنه لم ينج من مكيدة معاوية التي انتهت بعزله.

وكانت مطالب العثمانية كشوكة في جانب ولاة علي ﷺ ، حيث حاربوا محمد بن أبى بكر الذي أساء معاملتهم ، وكان مقتله على أيديهم ، وقد رجح هذا الموقف كفة الأمير معاوية في صراعه مع الخليفة علي ﷺ ، إذا صارت مصر ولاية أموية.

دور مصر في ثورة عبد الله بن الزبير :

كان لمصر دور في الثورة التي أعلنها عبد الله بن الزبير إبان خلافة يزيد ابن معاوية ، فقد ثار عبد الله في الحجاز ودعا لنفسه بالخلافة سنة ٦١هـ/٦٨٠م وبايعه أهل الحجاز بعد مقتل الحسين بن على ووفاة معاوية بن أبى سفيان ، كما بايعه بعض أهالي الأمصار الإسلامية وجماعة من أهل مصر ، وأرسلوا إليه وفدا يسأله أن يبعث إليهم بأمير ، فاستجاب لهم عبد الله بن الزبير وبعث إليهم عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهرى لينوب عنه فى حكمها سنة ٦٤هـ/٦٨٣م

ونجح عبد الرحمن في استخلاص مصر من عامل الأمويين ، وحاول يزيد القضاء عليه ولكنه فشل سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، ثم ولى الخلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، ولم تطل مدة خلافته فقيل أنه حكم أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر[١] ، وبعد وفاته حدثت فترة اضطرابات ونزاع حول منصب الخلافة ، وفي تلك الأثناء اتسع نطاق دعوة ابن الزبير

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٨٧.

الذي بايعه أهل الشام كلهم إلا الأردن ، كما غلب على أهل العراق واليمن وخراسان ، وجدد عمارة الكعبة[١].

آلت الخلافة بعد ذلك إلى مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، الذي لم يرض بضياع مصر من حوزة الخلافة الأموية ، فبعث بجيش يقوده ابنه عبد العزيز بن مروان ، وعلى الرغم من استعداد المصريين للدفاع وصد جيش عبد العزيز بن مروان ، حيث حفر عبد الرحمن بن عتبة خندقا حول الفسطاط ، إلا أن الجيش الأموي تمكن من هزيمته عند عين شمس ، وتم الصلح بين مروان وبين المصريين وأمن مروان المصريين ، ثم دخل الفسطاط في جمادى الأولى سنة ٦٥هـ /٦٨٤م وهكذا انتهى حكم بن الزبير في مصر بعد أن دام نحو تسعة أشهر ، وهى المدة التي ولى فيها عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم الفهرى لينوب عنه في حكمها سنة ٦٤هـ/٦٨٣م [٢].

وأقام مروان بن الحكم بمصر شهرين وبنى الدار البيضاء لتكون مقرا له ثم غادرها في أول رجب سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بعد أن وطد أمورها وأعادها مرة ثانية للحكم الأموي ، وولى عليها ابنه عبد العزيز وزوده بالنصائح الهامة[٣].

وقد أسهم عبد العزيز في القضاء على حركة ابن الزبير في الحجاز فأرسل حملة بحرية إلى مكة لقتال ابن الزبير ، وكانت عدة هذه الحملة ثلاثة آلاف رجل ، وكان بها رجل اسمه عبد الرحمن بن بحيش ـ أحد موالى قبيلة تجيب ـ يقال أنه هو الذي قتل ابن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[٤].

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٨٨ ، سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٨٤.
(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٨٧.
(٣) الكندى: ولاة مصر ، ص٧٠،٦٩.
(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص١٨٨.

وهكذا نرى أن مصر ساهمت بدور فعال وكان لدورها أثر لا ينكر، حيث رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج فيها لفترة يسيرة انتهت بعد تغلب مروان بن الحكم على مصر، ولكنهم عادوا إلى الظهور مرة أخرى في ولاية قرة بن شريك على مصر سنة ٩٠-٩٦هـ /٧٠٨-٧١٤م زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي تمكن من القضاء عليهم.

موقف مصر من زوال الخلافة الأموية:

ثار الموالى من سياسة بنى أمية القائمة على تفضيل العرب عليهم، والتي لم تساوى بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات وفقا للشريعة الإسلامية، هذا بجانب عوامل الانقسام داخل البيت الأموي نفسه منذ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك حيث كانت الولاية الأموية توشك أن تتداعى بعد أن نخرت في جسدها عوامل الضعف، وأسهمت حركات الخوارج فى زلزلة قواعدها(١).

انتهز بنو العباس هذه الفرصة وأخذوا في الدعوة لأنفسهم، وظهرت دعوتهم في خراسان على يد أبي مسلم الخراسانى.

وفى سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م استولى العباسيون على خراسان والعراق، وتمت مبايعة أبي العباس السفاح في الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م(٢)، ثم طارد الجيش العباسي الجيش الأموي الذي كان يقوده مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وانتهى الأمر بانتصار العباسيين في موقعة الزاب الأصغر بالعراق، وفر مروان على اثر الهزائم فتوجه نحو مصر وعبر الناحية الغربية للنيل، وأمر بحرق السفن الموجودة بالنيل، وحرق جميع المدن الواقعة شرق النيل بما فيها الفسطاط حتى لا يفيد منها العباسيون الذين كانوا في أثره، كل هذه

(١) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص١٤٣.
(٢) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٥١.

الأمور لم تفد مروان من لأنه عامل أهل مصر معاملة سيئة فناصبوه العداء ، وطردوا الوالى حنظلة بن صفوان ، وأظهروا عدم الطاعة لبنى أمية.

وكانت الدعوة العباسية قد لاقت القبول من أهلها ، فدخلها القائد العباسي صالح بن علي . على رأس جيش كبير وتتبع مروان ، وتمكن الجيش العباسي من العبور نحو الضفة الغربية للنيل وطاردوا مروان بن محمد ، الذي اتجه نحو الصعيد حتى وصل بلدة بوصير. مركز الوسطى بمحافظة بنى سويف . والتقى صالح بن على ومروان بن محمد في معركة فاصلة في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وانتهى الأمر بانتصار الجيش العباسي وقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين لتشهد مصر بذلك مصرع آخر خلفاء بنى أمية، وبذلك انتهت دولة الأمويين وقامت الدولة العباسية ، وأصبحت مصر منذ ذلك الوقت ولاية عباسية(١).

دور مصر في النزاع بين الأمين والمأمون :

قام النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب ولاية العهد ، فقد كان الخليفة هارون الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون ، على أن يلي الأمين العراق والشام إلى المغرب ، ويلي المأمون حكم بلاد المشرق الإسلامي أي ما يلي بغداد من ناحية الشرق بما في ذلك خراسان ، على ألا يكون للأمين سلطان عليه ، وكان ذلك سنة ١٧٥هـ/٧٩١م(٢).

وكان هذا النزاع يمثل الصراع بين العنصرين العربي والفارسي ، وكان العنصر العربي ممثلا في الخليفة الأمين وأمه زبيدة زوجة هارون الرشيد العربية الهاشمية ومعهم

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٥ ، ابن طباطبا: الفخرى ، ص١٤٨.
(٢) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٤٠٨، ٤٠٩، ٤٣٦ ، الطبرى: تاريخه ، جـ٨ ص٢٤٠ ، ابن كثير: البداية ، جـ٥ ص٢٢٣.

الوزير العربي الفضل بن الربيع ، الذي حافظ على الجند ومكن بها الأمين ، وخاف الفضل بن الربيع من المأمون ، فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى[١] ، فخلع الأمين أخيه المأمون من ولاية العهد وبايع لأبنه موسى ، ولقبه "الناطق بالحق" ، ولهذا قامت الحروب بين الأمين والمأمون[٢].

وفى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بعد ذكر المأمون ، فتنكر كل لصاحبه ، وظهر الفساد ، وكان هذا أول الشر بينهما منذ سنة ١٩٥هـ/٨١٠م[٣].

وفى سنة ١٩٧هـ/٨١٢م حوصر الأمين ببغداد ، ونازله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ، وظفر طاهر بالأمين فقتله ، وطاف برأسه على رمح في بغداد[٤] ، ثم حملت رأسه إلى أخيه المأمون بخراسان ، فتأثر وبكى عندما شاهد رأس أخيه ، ولكن طاهر قال له: "إنه كان يريد أن يراك مثلما تراه الآن" ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[٥] ، وبذلك انتهت خلافة الأمين وآلت الخلافة لأخيه عبد الله المأمون ، ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد ، بل ظل في مرو عاصمة خراسان[٦].

وكانت خلافة الأمين التي دامت خمس سنوات (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م) عهد فوضى واضطراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، ولم تنته تلك الفوضى بنهاية النزاع بين الأمين والمأمون ، بل ظلت آثارها ممتدة عدة سنين وجددت ثورات مختلفة في أنحاء الدولة ومنها مصر ، حيث تحزب فريق للأمين وفريق للمأمون أثناء الصراع بينهما[٧].

(١) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٣.
(٢) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٣٦ ، أبو المحاسن: النجوم ، جـ٢ ص١٣٨.
(٣) الطبرى: تاريخه ، جـ٨ ص٣٧٤ ، ابن كثير: البداية ، جـ٥ ص٢٢٦ ، ابن العبرى: تاريخ الزمان ، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص١٩.
(٤) المسعودى: مروج الذهب ، جـ٣ ص٣٢٥ ، الذهبي: تاريخ دول الإسلام ، جـ١ ،ص١٢٤.
(٥) المسعودى: مروج الذهب ، جـ٣ ص٤١٥ ، الطبري: تاريخه ، جـ٨ ، ص٣٧٤ ، سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص١٤٣،١٤٢.
(٦) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٤٣٦، ابن طباطبا: الفخرى ، ص١٦٩، ١٧٠.
(٧) سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة، ص٩٧.

وقد بدأ اضطراب الجند في مصر عقب وفاة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م ، وظهر ذلك واضحا عندما علم أهل مصر بخلع الأمين لأخيه المأمون من ولاية العهد ، فتشاور فريق من الجند في مصر في خلع الأمين غضبا للمأمون ، وأول من أظهر ذلك بمصر السري بن الحكم[١] ، وهاشم بن عبد الله بن حديج ، وابنه هبيرة[٢] ، فبعث والى مصر جابر بن الأشعث سنة ١٩٩هـ/٨١٤م لينهاهم عما عزموا القيام به ، ويحذرهم عواقب تلك الفتنة ، ولكن السري بن الحكم لم يهتم بهذه التحذيرات ، وظل يدعوا الناس بخلع الأمين وشجعه على ذلك ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين[٣].

لم يغفل المأمون أمر مصر أثناء نزاعه مع أخيه الأمين ، فكتب إلى أشراف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه ، واعتمد في ذلك على عباد بن محمد بن حيان مولى كنده ، وكان وكيلا على ضياع هرثمة بمصر[٤] ، الذي جمع الجند بالمسجد الجامع ودعاهم إلى خلع الأمين ، فأجابه الكثير وذلك سنة ١٩٦هـ/٨١١م[٥] ، وطرد عامله على البلاد جابر بن الأشعث وحل محله عباد بن محمد بن مماثل ، حيث كتب إلى زعيم القيسية وهو ربيعة بن قيس الحرشى بولايته على مصر[٦] .

سار ربيعة لمحاربة عباد بن محمد ونشب قتال بين الفريقين حول الفسطاط وكان قائد عباد هو عبد العزيز بن الجروي ومعه قبيلة لخم وجذام الذي دعا لنفسه بولاية مصر السفلى ، وتنكر لوالى مصر عباد بن محمد ، وأخذ يجمع الخراج لنفسه من أسفل الأرض ، ولذلك عقد عباد للسري بن الحكم لمحاربة أهل الحوف سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، وحدث قتال

(١) الكندي: ولاة مصر ، ص١٧٤.
(٢) سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة ، ص٩٧.
(٣) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص٩٧.
(٤) الكندى: ولاة مصر ، ص١٧٥.
(٥) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٤٣٩ ، الكندى: ولاة مصر ، ص١٧٦.
(٦) الذهبي: العبر ، جـ١ ص٢٤٦.

بين الفريقين ولم ينته إلا بورود الخبر بمقتل الأمين في المحرم سنة ١٩٨هـ/٨١٣م[١] ، ثم عزل المأمون عباد بن محمد ، وعين على مصر الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي ، فكانت ولاية ابن عباد سنة وسبعة أشهر[٢] .

فى تلك الأثناء انفرد عبد العزيز الجروى بالحوف ، وأعلن السري بن الحكم أنه وال على مصر بانتخاب الجند له سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م ، بل أخرج الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي من مصر وطرده ، فكانت ولايته على مصر سبعة أشهر ونصف[٣] ، واستولى الجروي على شرق الدلتا ، واستولى السري بن الحكم على الصعيد بجانب الفسطاط ، وانفردت قبيلتا لخم وجذام بحكم غرب الدلتا[٤].

وفى تلك الفترة كانت مراكب أهل الربض المطرودين من الأندلس قد رست عند الإسكندرية ، وتمكنت من السيطرة عليها وتأسيس جمهورية شبه مستقلة لهم بها[٥]

وإزاء هذه الفوضى في مصر اضطر المأمون إلى الخضوع للأمر الواقع ، فولى السري بن الحكم على مصر سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، وأرسل إلى السري يأمره بأخذ البيعة بالخلافة من بعده لأحد العلويين وهو علي الرضا بن موسى ، وكان الذي زين له فعل ذلك هو وزيره الفضل بن سهل لأنه فارسي الأصل ، وفى نفس الوقت يريد أن يسيطر على العلويين كما سيطر على العباسيين[٦].

(١) الكندي: ولاة مصر ، ص١٥٠ ، عصام عبد الرءوف الفقى: الدولة العباسية ، ص٩٥.
(٢) الكندي: ولاة مصر ، ص١٧٧.
(٣) الكندي: ولاة مصر ، ص١٧٩.
(٤) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٢ ص١٥٧ ، سالم: تاريخ الإسكندرية ، ص١٢٦.
(٥) الكندي: ولاة مصر ، ص١٥٧ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص١٧٢ ، الشيال: تاريخ الإسكندرية ص٣٧.
(٦) الطبري: تاريخه ، جـ٨ ص٥٤ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ٥ ص١٨٣.

وحدث الانقسام بين العرب في مصر، فمنهم من وافق على البيعة لعلي الرضا ومنهم من عارض ذلك، وكان من المعارضين عبد العزيز الجروي، وانتهت هذه الفتنة بموت علي الرضا سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م[١]

وبلغ الجروي ما فعله الأندلسيون بالإسكندرية، فسار إليها وحاصرها وكاد أن يخرج الأندلسيون منها، ولكن أطماع السري بن الحكم في السلطنة حالت دون تحقيق ذلك، حيث خشي من ازدياد نفوذ الجروي، فهدده في عقر داره مما جعل الجروي يترك حصار الإسكندرية بما فيها من أندلسيين، ومن ثم تطورت المنافسة بين الجروي والسري إلى نزاع علني[٢]، وحاصر الجروي الإسكندرية أكثر من مرة إلى أن مات أثناء الحصار سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وبوفاته انتهت حركته، وتوفى السري بن الحكم هو الآخر في نفس العام[٣].

بويع بولاية مصر بعد وفاة السري بن الحكم ابنه أبو النصر بن السري، ولم تنته المنازعات التي قامت حول الاستئثار بالسلطة في مصر إذ ورث أبناء السري والجروي نزاع والديهما، واقتتل الطرفان فترة ثم اصطلحا، وتوفى أبو النصر سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م[٤]، وتولى بعده عبد الله بن السري الذي نشب القتال بينه وبين على بن الجروي[٥].

وإزاء هذه الفوضى في مصر صمم الخليفة المأمون على وضع حدا لهذه الاضطرابات الداخلية، فسير إليها جيشا تحت قيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين فانضم إليه على بن الجروي، وأرسل طاهر لأبى عبيد الله بن السري يدعوه إلى الطاعة، ولكن عبيدا أخذ يستعد لحربه، واشتبك الفريقان ووقعت الحرب بينهما فانهزم عبد الله وقتل معظم

(١) اليعقوبى: تاريخه، جـ٢ ص٤٥٣.
(٢) الكندي: ولاة مصر،ص١٦٥، المقريزى: الخطط، جـ٢ ص١٧٢.
(٣) الكندي: ولاة مصر، ص١٩٦، ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص١٩٧.
(٤) الكندي: ولاة مصر،ص١٩٧، سالم :تاريخ الإسكندرية ص١٤٢.
(٥) الكندي: ولاة مصر،، ص١٩٩، ٢٠٠.

أصحابه حتى أشرف على الهلاك ، فطلب الأمان ، فكتب طاهر إلى الخليفة المأمون كتابا يسأله فيه الأمان لعبيد الله بن السري ، فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وكتب لعبيد الله بن السري كتاب الأمان وأمره بالخروج إلى المأمون(١).

وهكذا تولى عبيد الله بن طاهر مصر في ربيع الأول سنة ٢١١هـ/٨٢٦م وأخضع عبيد الله بن السري ، ثم فرغ بعد ذلك لأمر الإسكندرية فسار إليها وحاصرها ، فطلب الأندلسيون بها الأمان ، وصالحهم على أن ينقلهم من الإسكندرية حيث رغبوا ، فخرجوا إلى جزيرة اقريطش .كريت . وملكوها وعين على الإسكندرية إلياس بن سامان ، وعاد ثانية إلى الفسطاط سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م(٢).

هكذا يتبين لنا أن مصر عادت ولاية خاضعة للخلافة العباسية بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر بعد أن عمت الفوضى شتى نواحيها ، وكادت أن تخرج من حكم الخليفة وتستقل بأمورها ، حيث انتهز بعض الطامعين في السلطان فرصة النزاع الذي نشب بين الأمين وأخيه المأمون للاستئثار بالسلطة في كثير من الأحيان ، وساعدهم على ذلك الاضطرابات التي ألمت بالخلافة العباسية أوائل خلافة المأمون(٣).

دور مصر فى محنة القول بخلق القرآن :

أخذ فريق من علماء المسلمين يتعمق في بحث المسائل الدينية على غرار ما كان يفعله رجال الدين والفلاسفة القدماء ، واستطاع المسلمون أن يكونوا لأنفسهم فلسفة تتماشى مع أصول الدين الإسلامي وأحوال المسلمين الاجتماعية ، ولا يعنينا هنا أن نبحث في آراء المعتزلة الدينية ، وإنما يهمنا أن الدولة العباسية اتخذت الاعتزال في وقت ما مذهبا

(١)الطبري: تاريخه ، جـ٨ ، ص٦١٠ ، الكندي: ولاة مصر ، ص٢٠٥،٢٠٦ ، سيدة كاشف: عصر الولاة، ص١٠٢.
(٢) الطبرى: تاريخه ، جـ٨ ، ص٦١٣ ، الكندى: ولاة مصر، ص١٨٢، ١٨٤ ، المقريزى: الخطط ، جـ١ ص١٧٣ ، ابن العبرى: تاريخ الزمان ، ص٢٦.
(٣) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص١٠٢، ١٠٣، بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية ، ص٩٨،٩٩.

رسميا لها ، وحملت جميع رعاياها على اعتناقه مستخدمة في ذلك جميع وسائل القوة والعنف[١] ، وكانت مصر ممن حمل على اتخاذ هذا المذهب ، وكانت مسألة خلق القرآن من المسائل التي تركز فيها الاعتزال خلال الفترة ما بين سنتي (٢١٨-٢٣٤هـ/٨٣٣-٨٤٨م) على الرغم من ظهور هذه المسألة خلال عهد الخليفة المهدى (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) وأخذت هذه المناقشات طابع الهدوء خلال فترات الهادي ، وهارون الرشيد.

وفى سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إليه تفضيل على بن أبى طالب ﷺ على أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتن ، ولم يتحقق له من ذلك ما أراد ، فكف عن ذلك حتى كانت سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م ، فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن الكريم ، وكتب إلى نائبه على بغداد اسحق بن إبراهيم الخزاعى أن يمتحن الناس بالعراق ، وأن يعاقب من لا يقرر بخلق القرآن ، واهتمت جميع الأوساط بهذه المشكلة حتى امتدت إلى العامة[٢].

وكان المأمون قد اعتنق قول المعتزلة في أن القرآن الكريم مخلوق وبدأ يجبر ويضغط على أمراء وعلماء الخلافة بالقول بخلق القرآن ، واستعمل العنف مع الفقهاء والأئمة وغيرهم في إحياء رأيه والسير عليه ، وامتد النزاع في اختبار شخصيات المسلمين الكبرى ، ومنهم بشر بن الوليد الذي اختبره إسحاق والى بغداد وقال له:"ما تقول فى خلق القرآن؟"، قال بشر: "القرآن كلام الله" ، فقال له اسحاق:"لم أسألك عن هذا ، مخلوق هو؟ " ، قال بشر: "ما أُحسن غير ما قلت لك" ، ثم سأل أحمد ابن حنبل: "ما تقول" ، قال: "كلام الله" ، قال : "أمخلوق هو؟" ، قال: "هو كلام الله لا أزيد علي هذه" ، ومن هنا نري أن الفقهاء تمارضوا وتوارو ولم يجيبوا ولم ينكروا[٣].

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص١٠٤.
(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٢٧١.
(٣) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢ ص٤٧٢ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٢٧٢.

توفي المأمون وواصل المسيرة الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧ هـ/٨٣٣-٨٤١م)، ثم الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م)، وعذب هؤلاء الخلفاء من لا يعترف بخلق القرآن، وبقدر ما كان الخلفاء يتشددون في تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها، وامتدت المحنه بالاختبار إلى معظم الولايات الإسلامية، وأصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمه[١].

ويهمنا هنا أمر مصر وموقفها في هذه المحنه الأليمة، ففي ولاية كيدر بن نصر على مصر(٢١٧-٢١٩هـ/٨٣٢-٨٣٤م)[٢] طلب منه المعتصم أن يمتحن الناس أجمعين، وخاصة الفقهاء والعلماء ورجال الدين والقضاة وغيرهم، ومن لا يعترف بخلق القرآن يعزل من وظيفته، والظاهر أنه لم تقم في مصر أول الأمر معارضه شديدة للقول بخلق القرآن، حيث وافق كثير من العلماء والفقهاء والقضاة في مصر علي مسألة خلق القرآن، ولم يعترض إلا القليل من المصريين، ولم تتعرض مصر لما تعرض له العراق من قتل وتعذيب واضطهاد بسبب هذه المحنة وكان ذلك في خلافة المعتصم.

أما في خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م) فقد ورد منه كتاب إلى قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان المصريين المسلمين جميعا في هذه المسألة، وعندئذ عارض كثير من المصريين المحنة وثاروا ضدها، فملئت السجون بهم، وهرب الكثيرون[٣].

وأمر قاضي مصر محمد بن أبى الليث أن يكتب علي المساجد (لا اله إلا الله رب القرآن المخلوق)، وكان ممن هرب بسبب هذه المحنة أحد علماء مصر في تلك الفترة وهو ذو النون بن إبراهيم الأخميمي، ولكن القاضي محمد بن أبي الليث قبض عليه فأقر بخلق

(١) سيدة كاشف: عصر الولاة، ص١٠٥.
(٢) الكندي: الولاة، ص٢١٧.
(٣) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٩٢، سيدة كاشف: عصر الولاة، ص١٠٦.

القرآن[1] ، وامتنع عن القول بخلق القرآن أبو يعقوب يوسف بن يحي البويطي المصري صاحب الإمام الشافعي[2] ، حيث حمل إلى بغداد وظل متمسكا برأيه ، حتى توفي وهو في سجنه سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م.

ولما تولي الخليفة المتوكل العباسي(٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) وجد أن هذه المحنة قد طال أمدها ، فأرسل كتابا إلي جميع الأقاليم سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م يأمر ولاته بترك الجدل في القرآن الكريم ، وأبطل هذه المحنة وعم الفرح كافة بلاد المسلمين ، وعلا شأن الخليفة المتوكل واعتبره المسلمون أعظم خلفاء المسلمين لأنه حقن الدماء ، وأنقذ المسلمين من الاضطهاد والتعذيب ، وأعاد الأمن والطمأنينة إلى قلوب الناس ، حتى قيل الخلفاء ثلاثة أبو بكر يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز يوم رد المظالم لبني أمية ، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التهجم.

(١) الكندي: الولاة والقضاة ، ص٤٥٣.
(٢) أبو المحاسن: النجوم ، جـ٢ ص٢٧٥ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ، ص٣٠١.

obeikandl.com